ثنائية القيم في السّلوك البدوي من وجهة نظر علي الوردي

The Dualism of Values in the Bedouin's the Behavior in the view of Ali Al Wardi

أ. الخليل الواعر/Khalil ELOIAAR

باحث في سلك الدكتوراه، وأستاذ متعاقد مع جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– الجديدة، المغرب.

eloiaarkhalil@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/05/26 تاريخ القبول: 2020/06/09 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص تعد القيم مكونا أساسيا لثقافة الشعوب وهويتها، لما لها من أثر كبير على سلوك الفرد داخل المجتمعات، لكن القيم تختلف حمولتها وأبعادها السلوكية والتربوية والاجتماعية بحسب الوسط البيئي الذي تشكلت ضمنه. إن قيم البداوة ليست هي قيم الحضارة فكل له محددته ومنطلقاته الفكرية الموجهة له، فالبدوي الذي عاش في وسط البداوة ليس هو المتحضر الذي عاش في وسط الحضارة، ولعل ما تشهده البلاد العربية اليوم من صراع بين قيم البداوة القديمة وقيم الحضارة الجديدة جعلت شعوبها غير قادرة على التصرف بانسجام، حيث أصبحت شعوبا حائرة بين أن يسلكوا طريق البداوة وطريق الحضارة في آن واحد، مما دفع بالعديد منهم أن يتقمصوا قيما ثنائية متضادة ومتباينة.

الكلمات المفتاحية: البداوة– الحضارة– القيم– الثنائية–علي الوردي.

Abstract: *Values are an essential component of the culture and identity of communities as they have a great impact on the behavior of the individual within societies. However, values differ in their behavioral, educational and social dimensions according to the environmental medium in which it is formed. The values of the Bedouin are not those of civilization; actually, each have their own determinants and intellectual aspirations it is aimed to. He who lived in the midst of Bedouin is not the civilized person who lived in the midst of civilization. Perhaps what is witnessed in the Arab countries today of struggle between the values of the old Bedouin and the values of the new civilization has made the Arab*

people unable to act in harmony and smoothness as they have become shattered between the path of Bedouin and the path of civilization at the same time, the thing that prompted many of them to embrace contrasting and bilateral dual values.

Key- words : *the Bedouin – the civilization – the values – the dualism - Ali Al Wardi.*

1– مقدمة:

لقد عمرت قيم البداوة في مجتمعاتنا أعمارا كثيرة واضطلعت بأدوار مديدة منذ القدم، فلم يكن من السهل بعد أن استولت علينا قيم الإسلام وحضارته أن تختفي فينا قيم البداوة دون أن تترك أثرا في ثقافتنا، فأضحت مجتمعاتنا اليوم«من أكثر المجتمعات في العالم تأثيرا بالقيم البدوية في محاسنها ومساوئها، ولعل المساوئ أوضح أثرا فيه من المحاسن»[1] بعد ما كانت قيم البداوة أصيلة وأقرب للخير والفطرة من قيم أهل الحضارة[2].

يرى (علي الوردي(ت1415هـ)) أن فعل التداخل الذي خلفتها الحضارة على طبيعة ونفسية أهل البادية جعلهم في حيرة من أمرهم، فهم لا يستطيعون أن يطمئنوا إلى قيمة حضارية زمنا طويلا؛ لأن الصحراء تمدهم بين كل آونة وأخرى بالموجات التي تقلق عليهم طمأنينتهم الاجتماعية. وهم من الناحية الأخرى لا يستطيعون أن يكون بدوا كأبناء الصحراء؛ لأن الحضارة المنبعثة من وفرة المياه وخصوبة الأرض تضطرهم إلى تغيير القيم البدوية الوافدة إليهم لكي يجعلوها ملائمة لظروفهم الخاصة، وهذا ما جعلهم شعوبا حائرة بين أن يسلكوا طريقين متعاكسين، ومضطرون أن يسيروا فيهما في آن واحد، فهم يمشون في هذا الطريق الحضارة حينا ثم يعود ليمشوا في الطريق البداوة حينا آخر[3].

ويذهب (علي الوردي) إلى أن ثنائية القيم التي تطبع سلوك أهل البدو وما يستنكفها من مد وجز، هي ظاهرة اجتماعية عامة في أغلب الأقطار العربية[4]؛ إلا أن دراسته للثقافة البدوية وطبيعتها خص بها المجتمع العراقي بالتحديد والمجتمع العربي

بشكل عام،وهذا ما ذكره في مقدمة كتابه "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث"،حيث أظهرت الدراسة التي قدمها جهوده العلمية الرامية إلى تفسير ظاهرة البداوة في شخصية الإنسان العراقي، وكيف أخذ منه هذا العمل البحثي وقتا طويلا وهو يصارع أفكاره وآراءه ما يقارب العشرين عاما، لتزداد هذه الدراسة تركيزا منذ عام (1950م) حيث بدأ في استكشاف طبيعة شخصية العرقي البدوية من خلال عدة محطات تاريخية وعلمية انطلقت منذ أن ألقى محاضرة له عام (1951م)في إحدى الجامعات العراقية بعنوان: "شخصية الفرد العراقي"، وفي عام (1954م) اخرج كتابه"وعاظ السلاطين"تطرق في إحدى فصوله إلى طبيعة المجتمع العراقي في صدر الإسلام، وإلى العوامل الاجتماعية التي أثرت في تكوين شخصيته.وفي عام (1958م) دعته (هيئة الدراسات العربية في جامعة بيروت الأمريكية) إلى إلقاء محاضرة تحدث فيها عن أخلاق أهل العراق. وفي عام (1959م) شارك في مؤتمر في شمال (إيطاليا) قدم فيه ورقة بحثية حول "البداوة وأثرها في المجتمع العراقي". وفي عام (1962م) شارك بورقة علمية في مهرجان ابن خلدون في القاهرة حاول فيها دراسة نظرية ابن خلدون من حيث أهميتها في فهم المجتمع العربي بوجه عام والمجتمع العراقي بوجه خاص. وفي عام (1962م) ألقى محاضرة في (معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة)حول منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، حيث دعا فيها إلى ضرورة إنشاء علم اجتماع عربي يستمد جذوره من نظرية ابن خلدون، ويستعين بها في دراسة الظواهر الاجتماعية في البلاد العربي المختلفة[5].

إشكالية الورقة البحثية:

هذا المعطى يدفعنا لطرح إشكالية مفادها: هل صار سلوك البدوي في ظل الحضارة ذي قيم ثنائية لا يستكين إلى قيمة إلا لتعود لنقيضها بعد فترة أخرى؟ أو أنه

أستطاع المزاوجة بين قيم الحضارة القديمة وقيم الحضارة الجديدة متأثرا بما تمليه عليه طبيعة ثقافته المركبة من أجزاء وخصائص البداوة القائمة على مفهوم (**التغالب**)، فتدفعه هذه الخصائص من مثل (الفخار، والثأر، والنسب، والعصبية، والنهب والوهب، والعزة والكرامة، والكرم والشهامة) إلى الوُغُول في صراع بين قيم البداوة وقيم الحضارة المتضادة والمتباينة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال أبحاث المفكر (علي الوردي) حول ثقافة البداوة وخصائصها وقيمها المتجذرة في سلوك البدوي.وللحديث عن هذا الموضوع نقترح خطة بحثية كالآتي:

-1) مقدمة.

-2)مفهوم البداوة وطبيعتها وخصائصها في فكر علي الوردي.

-2-1)مفهوم البداوة.

-2-2)خصائص البداوة.

-2-3) طبيعة الثقافة البدوية عند علي الوردي.

-2-4)رأي علي الوردي في طبيعة الثقافة البدوية.

-3) ثنائيات القيم في شخصية البدوي عند علي الوردي.

-3-1) ثنائية النهب والوهب.

-3-2) ثنائية الكرم والبخل.

-3-3) ثنائية الوفاء والغدر.

-3-4) ثنائية الطاعة والتمرد.

-3-5) ثنائية الإحسان والإساءة.

-3-6) ثنائية النفع والضر.

-4) خاتمة.

2-مفهوم البداوة وطبيعتها وخصائصها في فكر علي الوردي.

2-1- مفهوم البداوة.

يرى "علي الوردي" أنّ البداوة معاكسة للحضارة في كثير من الخصائص، فالحضارة ظاهرة اجتماعية متغيرة في الزمان والمكان، في حين أن البداوة في غالبها لا تتغير وهي حضارة جامدة، ولا يمكن فهمها إلا داخل الثقافة البدوية، وكل دراسة خارجة عن هذا الإطار قد تسقطنا في أخطاء فظيعة عند دراستها، لأن طبيعة خصائص البداوة مرتبطة بثقافة البلد، فكما أن لكل فرد شخصية تميزه عن أي فرد، فكذلك هي كل أمة من الأمم تختص بثقافة معينة ومتلونة بلونها ومطبوعة بطابعها الخاص، لذلك يلزمنا لدراسة خصائص البداوة أن لا نحتكم إلى التشابه الحاصل بين الثقافات الأخرى«غير العربية، فنحن قد نجد لها ما يشابهها في الثقافات الأخرى، إنما هو تشابه بالاسم أو الشكل الظاهري فقط. أما من حيث المحتوى الواقعي فالخصلة البدوية تختلف عن شبيهتها الاسمية في أي ثقافة أخرى»[6] غير عربية.

فإذا كانت خصائص الثقافة البداوة تختلف من ثقافة إلى ثقافة أخرى، فما خصائصها في البلاد العربية عند "علي الوردي"؟

2-2- خصائص الثقافة البدوية.:

ينطلق (علي الوردي) لإثبات اختلاف خصائص ثقافة البداوة من فكرة مفادها: أن الثقافة الاجتماعية لأمة ما هي بمثابة الشخصية للفرد، فكما أن لكل فرد شخصيته الخاصة به كذلك تكون كل أمة من الأمم إذ اختصت بثقافة اجتماعية معينة لا تماثلها أي ثقافة أخرى في أية أمة.فالثقافة عند "علي الوردي" هي« مجموعة التقاليد والقواعد والأفكار الموجودة في أية أمة من الأمم. وهي تشتمل مختلف شؤون الحياة فيها، كالشؤون الدينية والأخلاقية والقانونية والفنية والصناعة واللغوية والخرافية وغيرها، وهي ليست مجموعة بسيطة مؤلفة من أجزاء متفرقة، بل هي حزمة متماسكة ومترابطة بحيث تكون الأجزاء فيها متفاعلة فيما بينها تفاعلا قويا يجعلها ذات طبيعة

جديدة لم تكن فيها عندما كانت منفردة»[7]. كذلك هي الثقافة البدوية لها من الخصائص العديدة التي تميزها عن غيرها من الثقافات الأخرى، إلا أن (علي الوردي) يحصر هذه الخصائص في مفهوم "المغالبة" كما سنعرض فيما بعد.

3-2- طبيعة الثقافة البدوية عند علي الوردي

يتسأل "علي الوردي" عن الطابع العام الذي تتميز به الثقافة البدوية، فيورد أراء لبعض المستشرقين في طبيعة الثقافة البدوية:

أراء المستشرقين	خصائص الثقافة البدوية
إدورد غرنفيل براون Edward Granvill Brown	يرى أن طبيعة الثقافة البدوية تكمن في الشجاعة والكرم والضيافة والولاء للقبيلة والثأر.
ويليام موير William Muir	يذهب إلى أن طبيعة الثقافة البدوية تنحصر في الشرف والثأر.
غولدزهير Goldziher	يحصر البداوة فيالمروءة، ولكنه جعلها تشمل مظاهر شتى منها: الشجاعة، والشهامة التي لا حد لها، والكرم إلى حد الإسراف، والإخلاص التام للقبيلة، والقسوة في الانتقام، والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل[8].

إذا كانت طبيعة البداوة عند هؤلاء المستشرقين الثلاثة تنحصر في مجموعة من القيم الأخلاقية المتعددة من مثل: (الثأر والشرف والشهامة والشجاعة)، فإن (علي الوردي) يختزلها في مفهوم واحد وهو "**التغالب**". فهو يرى أن كل هذه القيم

الأخلاقية تعود إلى هذا الأصل وهو الذي يدفع بالسلوك البدوي إلى الاتصاف بهذه القيم.

4-2- رأي علي الوردي في طبيعة الثقافة البدوية:

يلخص "علي الوردي" أن طبيعة الثقافة البدوية قائمة على مفهوم "**التغالب**". حيث يذهب إلى أن الثقافة الاجتماعية لأي مجتمع ما مركبة من محاور جزئية، كذلك الثقافة البدوية مركبة من ثلاث أجزاء وهي التي تشكل معنى "**التغالب**" الذي يتكون من ثلاث مكونات وهي: **العصبية، والغزو، والمروءة**. فالبدوي في رأيه يريد أن يتغلب على الغير:

أولا: بقوة قبيلته (**العصبية**)

ثانيا: بقوته الشخصية (**الغزو**)

ثالثا: بمروءته أي بتفضله على الغير (**المروءة**)

فالبدوي يرغب في الانتماء إلى قبيلة تحميه ويحميها لذلك تجده يتعصب لها ويثأر من أجلها. وهذا لا يتحصل إلا بالشجاعة والشهامة التي يبذلها البدوي في السلم والحروب، فهو مقدام على القتال كلما أعلنت قبيلته غزوة قبيلة ما، وقادر أيضا على حماية كل من يستغيث به أو يطلب جواره، وكل من يلحق الأذية بمن يلجأ إليه يعد إهانة له. وليكسب مكانته بين قبيلته يجب أن يكون ذا مروءة قادر على النهب والوهب في آن واحد؛ لأن البخل في نظر البدو دليلا على الجبن والضعف والخوف، فالقادر على البذل قادر على الأخذ[9].

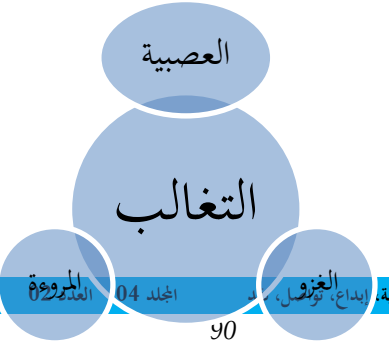

3- ثنائيات القيم في شخصية البدوي عند علي الوردي.

إن ثنائية القيم في السلوك البدوي هي ليس لازمة أصيلة بقدر ما هي حدث طارئ، بعدما اختار التحول من حياة البداوة إلى حياة التحضر مما نجم عنه نوع من أنواع صراع القيم. فلما شجب الإسلام قيم العصبية الجاهلية جاء بقيم سمحة نظمت حياة الناس وانتقلت بهم من حياة البداوة إلى حياة التحضر، ومع ذلك «ظل المجتمع العربي يعاني الصراع بين قيم الإسلام وقيم البداوة زمنا طويلا»[10].

ويذهب"علي الوردي" إلى أن المجتمع العربي الحديث يشهد صراعا في القيم من نوع آخر. فهناك القيم البدوية المتغلغلة في أعماق النفوس من جهة. وقيم مضادة جاءت بها الحضارة الجديدة من جهة أخرى. فإذا أراد الفرد البدوي أن يتقمص قيم الحضارة يجد أنه غير قادر على أن يتصرف بانسجام بسبب بقايا القيم البدوية المتغلغلة في أغوار عقله الباطن، مما يجعل تصرفاته وأفكاره عرضة للتضارب. فينتج عن ذلك صراع بين قيم البداوة التي تتغلل في باطنه وقيم الحضارة التي أمتثل لها[11].

وسنورد على ذلك مجموعة من الأمثلة التي تبين هذا صراع بين قيم البداوة القديمة وبين قيم الحضارة الجديدة في المجتمع العربي الحديث:

1-3- ثنائية النهب والوهب:

يرى (علي الوردي) أن الرجل البدوي نهاب وهاب، فهو يحب الغنيمة حبا جما، ليس من أجل قيمتها المادية بل يحبها من أجل ما تمنحه من قدرة على المروءة والكرم، وبهذا يجمع بين قيمتي النهب والوهب في الآن ذاته.

فالرجل البدوي ليس نهابا فقط وإنما وهاب أيضا، فهو عندما يعود من النهب يرجع بغنائم إلى قومه ليتكرم بها عليهم أو ينفقها على ضيوفه وجيرانه. فهو أكثر الناس حبا للسمعة الحسنة والصيت البعيد. فنجد البدوي يضحي بنفسه وكل ما يملك في سبيل أن يكون معروفا بالكرم والمروءة.

فالقيمة الوحيدة التي يمكن أن ينال بها البدوي الرئاسة والسمعة –في رأي (علي الوردي)– هي أن يكون شجاعا وكريما، أي أن يكون نهابا وهابا في آن واحد، فهو يحصل على الغنائم عن طريق القوة والشجاعة، ثم يحصل على الرئاسة والسمعة عن طريق الكرم والمروءة[12].

2–3– ثنائية الكرم والبخل:

من الثنائيات التي تطبع سلوك البدوي عند (علي الوردي) أيضا اتصافه بالكرم والبخل في الوقت نفسه، فتجده يبذل أعز ما يملك في سبيل ضيفه، وفي المقابل قد يتخاصم ويساوم أيضا على دراهم معدودة، ويعزو "علي الوردي" سبب هذا التناقض إلى خصائص البدوي وطباعه التي أشرنا إليها في خصائص البداوة وهي المغالبة، فالبدوي لا يقبل أن يكون مغلوبا أو مغبونا في أي معاملة ما مهما كانت تافهة، فقد يساوم البائع عند اقتنائه تجارة ما مساومة طويلة مخافة أن يغبنه وأحرى أن يغلبه؛ لأن الغبن نوع من أنواع الغلبة عنده. ومن غرائب طباع البدوي أن البائع الذي تشاح معه في السوق قد يأتي إلى بيته بعد تلك المساومة الطويلة، فيقدم له من الطعام أضعاف ما ساومه عليه. وقد يفد عليه أيضا ضيف أو قاصد يرجو منهم أضعاف ذلك المبلغ فلا يتردد أن يمنحوه إياه.

ويرى"علي الوردي" أن المتحضر قد يجد في هذا سلوك البدوي تناقضا صارخا. والواقع إنه خال من كل تناقض. فالسلوك البدوي نفسه لا يتغير ولا يتناقض في جميع أطواره إنما يميل إلى الغلبة ويدور معها أينما تدور[13].

3-3- ثنائية الوفاء والغدر:

إن البدوي عند (علي الوردي) أشد وفاء بوعده،حيث قد يفتدي نفسه وماله في سبيل وعد ما، وتجده يحفظ وعده كأنه دين لا بد من أدائه، ولعل المثل الذي يقول: "وعد الحر دين" أصدق دليلا على تشبع البدوي بقيمة الوفاء.

لكن هذا البدوي رغم اعتزازه بالوفاء بوعده يعتز أيضا بغدره، وهنا تظهر معنا صفة حميدة تعارض صفة ذميمة،وثنائية جمعت بين الوفاء والغدر في سلوك البدوي في آنواحد، يقول الشاعر الجاهلي:

قبح الإله بني كليب أنهم لا يغدرون ولا يفون لجار[14]

إن الدارس لطبيعة الثقافة البدوية سيلاحظ أن قيمة الوفاء والغدر مختلفة عن طبيعة الثقافة الحضارية، فالمتحضرون إنما يمجدون الوفاء لأنه راجع عليهم بالنفع وحفظ حقوقهم من الضياع، فـ«التاجر الذي يشتهر بين الناس بقلة الوفاء سوف يفشل في تجارته عاجلا أو آجلا. فاعتباره التجاري يعتمد في الأكثر على شدة التزامه بوعوده وديونه. معنى هذا أن الوفاء الحضري له أساس نفعي مادي.

أما في البداوة فالوفاء له أساس آخر. إنه مطبوع بطابع الثقافة البدوية، أي أنّه يقوم على أساس التّغالب والقوة. فالرجل البدوي لا يفي بوعده إلا حين يجد في ذلك إشعارا بقوته ومروءته. أما إذا أحس بأن الوفاء قد يدل على ضعفه فإنه مضطر أن يكون خائنا غدارا وهو يفتخر بذلك»[15].

فالبدوي في رأي "علي الوردي" يود أن يقصد صاحب الوعد عن طيب نفسه فيوفي له به، فهذا الفعل يجعل منه غالبا لا مغلوبا، أما إذا جاءه رجل يطلب

منه أن يوفي بوعده أو يؤدي ما اتمن عليه فإنه يشعر بالضعف، حينئذ يمس بكرامته وينقص من شأنه فلا يجد حينها من بد إلا أن يقابل هذا الوفاء بالغدر تحدي له وغلبة عليه[16]. وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي في مدح نفسه وقبيلته:

فما يستطيع الناس عقدا نشده ونقضه منهم وإن كان مبرما

4-3- ثنائية الطاعة والتمرد:

يذهب "على الوردي" إلى أن البدوي من أكثر الناس حبا للرئاسة والإمارة وأكثرهم نفرة من الطاعة والانصياع. فهم يجدون في الإمرة طباعهم التي هي الغلبة أما الطاعة والامتثال فهي تشعرهم بالغلبة والضعف، لذلك فهم إذا أطاعوا أميرهم أو شيخ قبيلتهم أو عشيرتهم فهو من باب التعاون والنجدة والنخوة وليس من باب الطاعة، لذلك تجدهم «يقابلون الرئيس منهم ويجالسونه ويخاطبونه من غير اكتراث أو تأدب فهم ينادونه باسمه عادة، أو بكنيته»[17]، ومتى ما أحس البدوي بأن قائده يغلب عليه بطريقة ما في إملاء الأوامر تمرد عليه وعصاه، بل يصير ينتهز الفرصة ليتغلب عليه ويتمرد على أوامره[18].

ومن الأبيات التي أوردها (علي الوردي) في هذا الباب والتي تدل على حب البدوي للإمارة قول الشاعر الجاهلي:

إذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ويذهب ابن خلدون إلى أن السبب الرئيسي الذي جعل البدو غير صالح لحكم البلاد المتحضرة وإعمارها، التنازع على الإمرة الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى تعدد الحكام والأمراء، وبهذا تختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينتقض[19].

5-3- ثنائية الإحسان والإساءة:

ومن طبيعة البدوي أيضا أنه محسن ومبغض في آن واحد؛ ويعزو "علي الوردي" سبب ذلك إلى أن البدوي يبغض من أحسن إليه؛ لأن ذلك يثير فيه شعورا بالخضوع للمحسن، وهذا يعني بأنه صار غالب عليه وإن كانت هذه الغلبة في نظر المتحضر محمودة وفضيلة، لكن في نظر البدوي يعتبر هذا الإحسان دين ويجب أن يفي به وزيادة؛ لأن التفضل في نظر البدوي يعني القوة والغلبة والمقدرة.

إن البدوي يبغض من يحسن إليه فالإحسان يثير فيه شعورا بالخضوع وضعف المنزلة، ويشعره بأنه أصبح مدينا للمحسن بواجب، ولهذا فإن رئيس القبيلة يتوقع من أتباعه الحسد والبغض والخيانة من أول يوم اختير للرئاسة عليهم.

فالبدوي لا يخلو من خلق الوفاء على أي حال، وفي طبيعته وثقافته البدوية لا يحب أن يرى أحدا قد تفضل عليه بشيء؛ لأنه يحب أن يكون هو المتفضل على الناس لا المتفضل عليه. فالتفضل في نظر البدوي يعني القوة والغلبة.

يقول"علي الوردي": «إن المحسن في الغالب لا يقوم بالإحسان بدافع من الرحمة أو الإنسانية أو التقرب إلى الله، بل هو يقوم به بدافع من حب السمعة والرئاسة. وكثيرا ما نلاحظه عند الإحسان يتلفت من حيث يشعر أو لا يشعر لكي يرى تأثير إحسانه على الناس، إنه بعبارة أخرى يريد أن يتباهى بإحسانه أكثر مما يريد أن يرحم الغير به».[20]

6-3- ثنائية النفع والضر:

يذهب(علي الوردي) إلى أن النفع والضر مترادفان في ثقافة البدوي مثلهما كمثل الكرم والشجاعة لا ينفك أحدهما عن الآخر، قال الشاعر الجاهلي:

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يراد الفتى كيما يضر وينفع[21]

فالبدوي الذي ينفع ولا يضر لا ينال مكانة ورفعة بين قومه بل مثله مثل الحمار الذي ينفع ولا يضر، لأن الذي يقصر كل أعماله على النفع فقط هو رجل

ذليل مغلوب على أمره «والأحرى بالبدوي إن عجز عن النفع، يكون ضارا ليتجنب معرة الذل عليه وعلى قومه. ويمكن أن نقول مثل هذا عن القبائل البدوية، فالقبيلة التي تجد نفسها غير معروفة بالمكارم ذهبت في الأرض غازية أو قاطعة للطريق وهي قد لا تكسب الغنيمة المجزية في ذهابها، ولكنها تكسب على الأقل سمعة القدرة على الضر»[22].

4 – خاتمة:

إن البداوة في منظور (علي الوردي) هي ظاهرة اجتماعية جامدة لا تتغير، وبرغم من أنها مثلت إحدى أنماط الحياة التي مرت بها الإنسانية إلى أن وصلت إلى مفهوم الحضارة في قالب الدولة، لكنها تختلف عن الحضارة في الكثير من الخصائص، ويرجع ذلك إلى طبيعة البداوة وبيئتها. ويمكن أن نجمل مفهوم البداوة في فكر (علي الوردي)في جملة من النقط:

–للبداوة ثقافتها الاجتماعية الخاصة بها، ومن أهم خصائصها المغالبة، وتتركب هذه الخاصية من خصال ثلاثة وهي: العصبية، والغزو، والمروءة، وتتفرع عنها مجموعة من الخصال:

مركب العصبية: يشتمل على التماسك القبلي، والمشيخة، والثأر، والنجدة، والفخار بالنسب، وصيانة المرأة.

مركب الغزو: يضم الفخار بالقوة والشجاعة، والقتال والغنيمة، والعزة، والصراحة والآباء، واحتقار المهن المختلفة.

مركب المروءة: يحوي الفخار بالضيافة والكرم، وحماية الدخيل، والجار، والرفيق، والحليف والمولى، وكل ضعيف لاجئ، وقد يضم كذلك على الوفاء والولاء والأمانة.

-إن ثنائية القيم في سلوك البدوي هي المحرك لدينامية الحياة، وهو أمر لابد منه ولا يمكن أن تستقيم الحياة دون هذا التوازن بين التعاون والتنازع من قبيل تدافع الخير والشر.

-إن هذه الثنائية التي تطبع سلوك البدوي مؤثر في الحياة الاجتماعية في جميع أطوارها وأشكالها ولا فرق في ذلك بين البداوة وغيرها من الثقافات، ولولا هذا التدافع لفسدت الأرض ولم تقم للبشرية قائمة.

-إن فهم ثنائية القيم واستحضارها في البلاد ذات الطبيعة البيئية تمكننا من فهم السلوك الاجتماعي للمجتمعات التي تحولت من حالة البداوة إلى حالة التحضر، كما تقدم لنا صورة لأفعال لاإرادية سببها يرجع إلى بقايا القيم البدوية المتغلغلة في أغوار العقل الباطني للبدوي.

- الهوامش:

[1]- علي الوردي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان، لندن، ط2، 1994، ص260.

[2]- ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988، ص 153.

[3]- علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، دار الوراق للنشر، طبعة سنة 2007.ص:12. بتصرف.

[4]- المرجع نفسه، ص:15.

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص 4، 5.

[6]- المرجع نفسه، ص 34-37.

[7]- المرجع نفسه، ص 36.

[8]- المرجع نفسه، ص 37-38

[9]- المرجع نفسه، ص39.

[10]- المرجع نفسه، ص 259.

[11]- المرجع نفسه، ص 259 .

[12]- المرجع نفسه، ص 83.

[13]- المرجع نفسه، ص 40.

[14]- أبو عبيدة معمر بن المثنى: شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، ج2، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الثانية، 1998، ص 501.

[15]- علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، ص 94.

[16]- المرجع نفسه، ص 94.

[17]- علي الوردي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ص 108.

[18]- علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، ص 108-70.

[19]- ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص 188.

[20]- علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، ص 87.

[21]- عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج7، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ، ص 105.

[22]- علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، ص 68.

6- قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988

2. أبو عبيدة معمر بن المثنى: شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إبراهيم حور – وليد محمود خالص، ج2، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الثانية، 1998.

3. عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج7، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ.

4. علي الوردي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان، لندن، ط2، 1994.

5. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، دار الوراق للنشر، الطبعة الأولى سنة 2007م.

6. يحي بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، شرح ديوان الحماسة، دار القلم – بيروت.